الفصل الثامن

اليوم الأخير من الزواج

بعد رجوع حمزة من فلسطين وبعد زواجه، في النهاية قررت أن أنتقل معه إلى السعودية. فقد عرفت أنني إذا بقيت في الأردن فسيتمكن من أخذ الأطفال معه، ولن أراهم إلا نادرًا، أو لن أراهم أبدًا. كان والداي غاضبين من قراري، لكنهما أيداني على مضض، إلا أنني قمت بإعداد مسودة لحمزة تحتوي على طلباتي، وهي أن يعوضني بدل قلاداتي الذهبية التي باعها؛ ليعطي والديه مالًا، وأن يدفع تكاليف مدبرة منزل، وأن يوافق على أن نزور والدي في الأردن مرة في العام، وليس مرة كل سنتين أو ثلاث. جعلت حمزة يوقعها، ووقعت أنا وسميرة أيضًا بوصفنا شاهدتين على أنه وافق على طلباتي. كنت أعرف أن تلك الوثيقة ليست ملزمة قانونيًّا، لكني أردت أن أظهر لحمزة أنني شخص مختلف الآن بعد أن خانني بتزوج امرأة أخرى، فهو لن يتخذ جميع القرارات بعد الآن.

وصلنا إلى السعودية عند الظهر تقريبًا، وعند الساعة ٥:٣٠ مساء أخذ حمزةُ يوسفَ وأنسَ إلى المسجد للصلاة. كان حمزة يرتدي حقيبة خصر تحتوي على جميع جوازات سفرنا (لم تكن تلك عادة جديدة من عاداته الغريبة، فقد كانت يفعل ذلك منذ أن تزوجنا). وعندما أخذ حمزة الولدين الكبيرين إلى المسجد بدأت أبحث عن معلومات يمكن أن تكون مفيدة فيما بعد. لم أكن أعرف عن ماذا أبحث، لكني قررت أن أبدأ البحث في أمتعة حمزة. وفيها وجدت نسخًا عن جوازات سفرنا. أخذتها، وعملت نسخًا إضافية عنها على ماكينة الفاكس/ الناسخة التي عندنا، ثم وضعت جانبًا تلك النسخ الإضافية؛ لأخبئها عندما أنتهي من البحث، وفي حقيبة السفر وضع حمزة بطاقة فهرسة صفراء كتب عليها أرقام الضمان الاجتماعي وأرقام جوازات أفراد العائلة. كانت تلك أول مرة خلال الستة عشر عامًا من زواجنا أرى فيها رقم ضماني الاجتماعي. ووجدت تحت تلك البطاقة ورقة إيصال تحتوي على نتائج فحص الدم الذي خضع له حمزة وغادة قبل زواجهما. لم أتعب نفسي بعمل نسخة عن ذلك الفحص، بل أخذت النسخة الأصلية نفسها.

جمعت الوثائق، وأخذتها معي إلى مكتبي. لم يكن حمزة يدخل تلك الغرفة إلا نادرًا، فهي تحتوي على آلة الخياطة خاصتي، التي بالطبع لا يستعملها، ومجموعة من الكتب باللغة العربية،

التي لا يستطيع قراءتها جيدًا؛ لذلك لم يكن يأتي للغرفة إلا أحيانًا لاستعمال الكمبيوتر، وكان في المكتب خزانة صغيرة معي مفتاحها الوحيد، وفيها كنت أضع المقصات وإبر الخياطة وأشياء أخرى؛ لأبعدها عن متناول الأطفال. وهكذا خبأت الوثائق في أحد الرفوف العلوية للخزانة، وأقفلت بابها، وكلي حذر؛ لذا أحمل المفتاح دائمًا معي.

وعندما نظرت إلى ساعة المطبخ أدركت أن لدي بعض الوقت قبل أن يرجع حمزة وأبنائي، لذلك أكملت مهمة البحث عن الوثائق. ثم تذكرت أن حمزة قد ترك مجلدًا كبيرًا لشركة أرامكو على أحد الرفوف في المكتب، لم أفتح ذلك المجلد من قبل، فلم يكن هناك سبب يثير اهتمامي به، أخذت ذلك المجلد، وقرأت بإمعان تفاصيل عقد حمزة مع الشركة، واكتشفت أنهم يعطونه مالًا كل عام ليسافر إلى الأردن أو أي بلد يريد، وكانوا يغطون تكاليف السفر والأكل لحمزة ولي وللأطفال. لم يذكر حمزة هذا لي أبدًا، فقد كان غالبًا ما يخبرني بأن السفر إلى الأردن كل عام باهظ التكاليف علينا. وعندما كنا نسافر لم يكن يعطيني إلا ٢٠ دولارًا لأنفقها هناك، واضطررت إلى أن أكتفي بهذا المبلغ الضئيل أسابيع عدة في أثناء الرحلة. وكان علي كل أسبوع أن أريه كل المال الذي لم أنفقه، وأذكر له كل شيء اشتريته.

وعندما غادر حمزة المنزل في اليوم المقبل واصلت تفتيش المنزل. وفي أثناء بحثي وجدت الإقرارات الضريبية لحمزة على مدى السنوات الماضية. كانت تلك الوثائق تتعلق بالضرائب الأمريكية؛ لأننا كنا مقيمين أمريكيين نعمل في شركة أمريكية في السعودية. كان راتب حمزة أعلى بكثير مما أخبرني، وكانت شركة أرامكو تزيد راتبه كل عام. وكان أيضًا يحصل على علاوات إضافية عن كل طفل ننجبه وعلى خصومات كبيرة على إيجار منزلنا؛ ولأن حمزة كان يحتفظ بتلك الأوراق في المكتب في متناول يدي خطر في بالي أنه لا يعتقد أن هذه الوثائق مهمة جدًّا، أو على الأقل لم يعتقد أنني سأقرؤها في حياتي، كان اعتقاده صائبًا مدة طويلة من الزمن.

أخذت النسخ الأصلية للإقرارات الضريبية القديمة، وأخفيتها في الخزانة. أما الإقرار الضريبي عام ١٩٩٩م فقد قررت أن أصوره؛ لأنه أحدث إقرار، وربما سوف يبحث حمزة عنه. فذهبت، ووضعت تلك النسخة في ماكينة النسخ، وضغطت على زر التشغيل، ثم انتظرت بفارغ الصبر، فقد صورت الماكينة تلك النسخة ورقة ورقة، وبعد لحظة نظرت إلى الماكينة، ووجدت خطوطًا رمادية خافتة اللون على جميع الأوراق التي طبعتها. لم يكن لدي عبوات حبر جديدة،

لذلك اتصلت بجارة لي، وسألتها إن كان لديها آلة نسخ؟ كانت تلك الجارة تعيش في الجهة المقابلة من الشارع، وكان من السهل علي أن أترك أطفالي الصغار مع يوسف وأنس دقائق معدودة لأذهب وأنسخ الأوراق، حاولت ألا أخبر جارتي بتفاصيل كثيرة، فقد كان من الأفضل ألا يعرف أحد ما كنت أفعله. لذلك لم أخبرها بشيء إلا أنني أحتاج إلى تصوير بعض الوثائق المهمة، وهي من باب الأدب لم تسألني أي أسئلة، ثم أضاءت مصباح مكتبها، وقالت: إنها ستكون في المطبخ إن احتجت إلى أي شيء.

عندما انتهيت من نسخ الوثائق طلبت مني جارتي البقاء لتناول الشاي، لكني تخيلت حمزة يصل إلى المنزل مبكرًا قليلًا، ويجد يوسف وأنس يعتنيان بإخوانهما الصغار في غيابي.

«شكرًا جزيلًا لك كان سيسعدني ذلك، لكن يجب أن أذهب لأولادي في المنزل ربما أزورك مرة أخرى».

اتفقنا أن نلتقي لاحقًا خلال الأسبوع، وقطعت الشارع مسرعة إلى منزلي. خبأت النسخة المصورة عن الإقرار الضريبي عام ١٩٩٩م في الخزانة، وأقفلت بابها، ثم غادرت المكتب والنسخة الأصلية مازالت في يدي. وفجأة سمعت الباب يفتح ويغلق، فأسرعت إلى غرفة نومي أتلفت حولي غير عارفة ماذا أفعل بالوثائق التي معي، وبسرعة وضعتها تحت فرشة السرير.

ثم سمعت حمزة في المكتب ينقب عن بعض الأوراق، فذهبت لأسلم عليه محاولة أن أبدو على سجيتي قدر الإمكان.

«آه، لقد عدت من العمل».

«مممم، فدوى، لا أستطيع العثور على أوراق عمليات الإقرارات الضريبية للعام الماضي، أحتاج إليها لشيء، هل تتذكرين أين وضعتها؟».

«لا، لا أعرف. ألم تضعها على رفّك؟».

«أعتقد ذلك، لكنها ليست هنا».

وقفت بصمت، بينما ذهب يبحث من غرفة لغرفة، وبعد قليل عرفت أنه أصبح مرتابًا؛ لأنه بدأ يبحث في أماكن يمكن أن تخبئ عنه الأوراق. وفي النهاية أقحم يديه تحت الفرشة في غرفة نومنا، ما جعلني أجفل من صوت خشخشة الأوراق وتمزقها قليلًا، بينما هو يسحبها.

عرف عندها أنني اطلعت على الأوراق، لكنه لم يقل شيئًا في تلك اللحظة، إلا أنني عرفت أنه سيكون أكثر حذرًا الآن.

لم أثق به، ولم أحبه كثيرًا في حياتي بسبب غلة يده، لكني أعرف الآن أنه لم يكن مهيمنًا فحسب، بل لم يكن صادقًا معي أيضًا. فقد كنت أتساءل عن الأشياء الأخرى التي يخفيها عني؟ جعلني ذلك أعاني الصداع النصفي بسبب كل هذا التوتر، وكان علي إمضاء معظم أوقات بعد الظهر في السرير والأضواء منطفئة. بدا حمزة قلقًا بسبب مرضي المتكرر، وحاول أن يظهر لي أنه تغير. فجلب لي أول مرة بعد أربع عشرة سنة من زواجنا صينية فيها طعام وشاي إلى سريري، وحاول أن يتكلم معي بلطافة.

«أنت على الرغم من أي شيء حصل أم أولادي يا فدوى، أرجوك لا تزعجي نفسك كثيرًا».

اجتمع الأطفال حولي عندما كنت مريضة، وساعد الولدان سارة في الوظائف المنزلية، فهي الآن في الصف الأول وأمامها أعمال أكثر صعوبة لتنفذها.

وفي إحدى الليالي عندما كان الأطفال نائمين سألني حمزة إن كنت أريد الذهاب للتمشي معه حول مجمع أرامكو؟ أدهشني ذلك قليلًا، لكني وافقت على الذهاب، ومشينا مع بعض بصمت مدة قصيرة، ثم توقفت، ونظرت إلى حمزة، قائلة:

«أتعلم يا حمزة، لقد اتصلت هذا الصباح بالشيخ ابن عثيمين، وطلبت منه المشورة في وضعنا».

شعرت بالرضا لرؤية علامات الذهول على وجهه. فقد كان ابن عثيمين شيخًا مشهورًا، وكان الناس يعاملونه كملك من الملوك. وكان معروفًا في جميع أنحاء السعودية وفي البلدان الإسلامية.

«أتقولين الحقيقة يا فدوى؟ كيف استطعت التحدث معه؟ فحتى لو وجدت رقم هاتفه، كيف تمكنت من التحدث معه؟».

«أعطتني إحدى السيدات من الحلقة الدينية السعودية رقم هاتفه، وأخبرتني بأنه من الصعوبة أن يرد علي؛ لأن كثيرًا من الناس يريدون مشورته، لكن بإمكاني المحاولة وتجريب حظي. وهكذا اتصلت به، وبعد رنتين من صدى الهاتف رد الشيخ علي».

كان بدن حمزة يرتعد قليلًا.

«ماذا قلت له؟».

«حييته، قائلة: السلام عليكم، ثم رد علي السلام. قلت له: إنني أريد أن أطرح عليه سؤالًا، فسمح لي، فأخبرته عن زواجك الثاني، وأنه كان عليك أن تتزوج امرأة أخرى لتجعل والديك سعيدين. ثم سألته إن كانت هناك آية في القرآن تتحدث عن هذا؟، فأجابني بالنفي، لكنه دعانا لنزوره في المستشفى لنتحدث عن وضعنا. إنه مريض، لكنه وافق على أن يتحدث معنا على الرغم من ذلك. ووافق أن يتحدث معنا ليرى إن كانت كلتا الزوجتين تُعاملان على قدم المساواة. ما رأيك إذن؟».

صمت حمزة لحظة، وكان لا يزال مذهولًا من جرأتي.

«أعلم يا فدوى، أنه لا توجد آية في القرآن تدعم قراري؛ لذلك لا أريد أن أزور الشيخ، فأنا أعلم أني أخطأت. فعلت ذلك لأن زواجي كان الطريقة الوحيدة ليحصل والداي على جوازات سفر فلسطينية، فلم يكن أمامي أي حل آخر. لكني لا أستطيع أن أطلقها الآن؛ لأن عمها أعز أصدقائي؛ لذلك أرجوك أن تنسي هذا الموضوع».

لم يتبقَّ لي شيء لأقوله بعد ذلك، فمشينا راجعين إلى المنزل.

خلال الأشهر القليلة المقبلة رجعت حياتنا إلى ما كانت عليه قبل أن يتزوج حمزة. فكان الأطفال الكبار يذهبون للمدرسة كل يوم، ويذهب حمزة للعمل، أما أنا فبقيت في المنزل لأعتني بروان وعبود، لكني تغيرت ولم أعد أرتعد خوفًا من حمزة إن فعلت شيئًا لا يعجبه، فقد كان أخي طلعت يأتي أحيانًا ليزورني خفية خلال النهار، كنت فخورة بتمردي السري، لكن في أحد الأيام رجع حمزة للمنزل، وسألني لماذا لم أخبره بأن أخي يزورني؟ اعتقدت في البداية أن الحارس الذي كان يطلب إذنًا لفتح البوابة قد أخبر زوجي، لكني اكتشفت بعد ذلك أن طلعت كان يدخن في الخارج، ويترك أعقاب سجائره على الأرض، فرآها حمزة، وعرف الأمر، وكانت تلك نهاية زيارات أخي.

كان حمزة يبذل جهدًا للإيفاء بجزء صغير على الأقل من الاتفاقية التي وقعها. فقد اتصل بمكتب محلي يجلب مدبرات منزل للعائلات. وفي أحد الأيام غاب حمزة ساعة، ورجع ومعه امرأة لتساعدني، وتعتني بالمنزل، حيث تقوم مدبرات المنزل في السعودية، إضافة

إلى مهامهن الاعتيادية بالاعتناء بالأطفال والطبخ، لكني لم أحتج إلى كل تلك المساعدة، في الحقيقة كان بإمكاني تدبر كل تلك الأمور بنفسي، لكني كنت أساعد حمزة، وبقيت مخلصة له في المنزل دون أن أطلب منه أن يشتري لي أي شيء، أو يأخذني للخارج في أثناء دراسته، ولكنه يملك المال الآن. فإذا استطعت أن أتحكم في كيفية إنفاقه لماله، أو على الأقل في جزء منه، فستقل عندئذ صلاحياته.

عملت مدبرة منزلنا (خديجة) دوامًا كاملًا، وأقامت في غرفة نوم الضيوف. عاملتها كفرد من أفراد العائلة، وعلمت أطفالي أن يحترموها، كنت أعد لها طعام العشاء لتأكله في غرفتها، وكان أطفالي ينادونها (خالة). لكن بعد شهرين من عملها عندنا علمنا أن عليها أن تجدد تأشيرة إقامتها، لذلك كان عليها أن ترجع إلى وطنها لإنجاز ذلك، كانت لديها ابنة صغيرة في الوطن، لذلك حزمت بعض ملابس بناتي، وأعطيتها إياها لتأخذها معها.

رجع حمزة إلى وكالة التوظيف، وجلب معه مدبرة منزل جديدة اسمها (حليمة). وكما الحال مع خديجة، أقامت حليمة في غرفة الضيوف، ولم أنتقد عملها، أو أطلب منها أن تطبخ لنا. كان الجيران يستغربون عندما يسمعون سارة تنادي حليمة بـ(خالة) لكني عاتبتهم أمامها، قائلة: إني أريد من أطفالي أن يحترموها؛ لأن ذلك يبني الثقة بيننا. فعندما كنت أترك أطفالي معها مدة قصيرة كنت متأكدة أنها ستعاملهم مثل أطفالها في غيابي، وفي إحدى المرات سمعتني حليمة أعلم أطفالي قراءة القرآن، فطلبت مني أن تشاركهم الاستماع أيضًا؛ لذلك طلبت منها أن تترك الأطباق في المغسلة، وتجلس معي أنا والأطفال.

سافر زوج حليمة إلى الولايات المتحدة بشكل غير قانوني، لذلك كان عليها أن تجني المال لترسله إليه، ذلك إضافة إلى المال التي كانت ترسله إلى أمها التي كانت تعتني بابنتها في إفريقيا، وسألتني مرة إن كانت تستطيع استخدام هاتفنا لتتصل بزوجها، فحدقت فيها، قائلة:

«أنا نفسي لا أستطيع الاتصال بوالدي دون إذن حمزة!».

كان حمزة يضع رمزًا سريًّا على الهاتف يتيح له إجراء مكالمات خارجية، وكان هو الوحيد الذي يعرف هذا الرمز، لكني قلت لها: إني سأطلب إذنه، دهشت عندما هز كتفيه، وقال: إنه لا يهتم إن استخدمت الهاتف. لكن بعد أن أجرت حليمة مكالماتها أخبرها بأن عليها أن تدفع له ثمنها، جعلني ذلك أشعر بالخزي، فذهبت إلى خزانتي أبحث عن بعض النقود

التي أعطاني إياها إخواني في العيد الماضـي، وأعطيتها حليمة، وطلبت منها أن تدفع لحمزة بسرعة قبل أن يخصم من راتبها.

بعد أن عملت حليمة لدينا أشـهرًا عدة سـمعت جدالًا بيني وبين حمزة، فهو لم يدفع لي بعد ثمن القلادات الذهبية التي باعها.

«لا أستطيع إرجاع المال لك الآن! فلدي زوجتان الآن وعلي أن أعدل بينكما».

«مـاذا تعني بـأن تعدل بيننا؟! تلك كانت قلاداتي، وقد اشـتريتها بمالـي الخاص! وأنت بعتها قبل أن تتزوج زوجتك الثانية بوقت طويل، وليس لها حق في مالي!».

غضب حمزة غضبًا شديدًا، وقبل أن أدرك ما حصل غطت حليمة وجهها، وأتت مسرعة نحو الرواق. لقد كانت امرأة طويلة القامة، وكان حمزة بالكاد يصـل إلى كتفيها، حتى عندما يقف على أصابع قدميه، وعندما وصلت مالت بجسدها على حمزة، ولوحت بقبضتها، قائلة:

«لماذا تصرخ عليها؟! إنها سيدة لطيفة!».

أخبرنـي أطفالي لاحقًا بأنهم كانوا خائفين من أن تمسـك حليمة بحمزة، وترميه خارج المنزل، أصبح حمزة هادئًا جدًّا، لكنه كان الهدوء الذي يسبق العاصفة.

أخبـر حمـزة حليمة بأن تحزم أمتعتها، لكني لم أرد أن تخسـر حليمة مورد رزقها؛ لأنها تورطت في علاقتي الزوجية المضـطربة، لذلك أسـرعت نحو الهاتف، وبدأت أتصل بجاراتي وصـديقاتي لأرى إن كانـت واحـدة منهن في حاجة إلـى مدبرة منزل. كان لدي جارة اسـمها (صوفيا) كانت قد دفعت بعض المال لحليمة لتساعدها على بعض أعمال المنزل، عندما كنت لا أحتاج إليها، لكنها لم تكن في حاجة إلى مدبرة منزل بدوام كامل. اتصـلت صـوفيا ببعض معارفها، وأخبرتني أخيرًا بأن صديقة لها تبحث عن مدبرة منزل، وهكذا أرسلت حليمة لتعيش مع صـديقة صـوفيا، فتركت منزلنا حزينة، لكن بعد انتقالها كانت تتصل بي كل يوم على مدى أشهر. كانت ربة عملها الجديدة تجعلها تنام في الكراج، وكان الأطفال يصرخون عليها، إضافة إلى العمل الشـاق الذي كانت تقوم به؛ لذلك توسـلت إلي أن أرجعها لتعمل عندي، وعرضت أن تعمل مقابل المسكن والمأكل فقط، دون أي راتب، لكن لم يسعني شيء إلا الاعتذار.

بعد مدة قصـيرة من مغادرة حليمة حل شهر رمضان، وبقي حمزة معنا في عيد الفطر، وبعد ذلك بشهرين حل عيد الأضحى، وكان من المعتاد أن يذهب الأطفال مع آبائهم للأضحية

(ذبح خروف)، التي تطبخ وتؤكل لاحقًا في حفل شواء كبير مع العائلة والأصدقاء، لكن أخبرنا حمزة فجأة وحقيبة السفر في يده أنه سيسافر إلى فلسطين لإمضاء الإجازة مع غادة، فتبعته إلى الباب، وقلت له:

«عليك أن تبقى هنا مع أطفالك يا حمزة، من غيرك سيأخذهم لتقديم الأضحية؟ من سيذهب معهم إلى حفل الشواء؟ لن أرضى بأن يكونوا الأطفال الوحيدين الذين سيبقون في المنزل من دون الأطفال الآخرين!».

«فدوى، فقط اتصلي بأحد أخويك ليزوروك. أنا متأكد أن أحدهم سيأخذ الأطفال، وأنا ذهبت إلى المتجر، واشتريت للمنزل مؤونة تكفيكم أسبوعين، لقد أخذت كل شيء في الحسبان».

«لا، لن أتصل بأحدهما، ولن أطلب منهما أن يعتنيا بأطفالك، لمجرد أنك ذاهب لتقضي الإجازة مع زوجتك الأخرى، وأنت أيضًا لم تدعوهما لزيارتنا أبدًا من قبل، فماذا سيحسبانِنا؟».

انتظر حمزة بصمت، حتى خرجت من الغرفة لأتحقق من القدر الذي تركته على النار في المطبخ. وبينما كنت خارج الغرفة اتصل بأخي بهجت، ودعاه لزيارتنا، وافق بهجت، وطلب من حمزة الإذن ليأخذ الأولاد للخارج في غيابه، قال حمزة له: إنه بإمكانه أخذ الأطفال إلى المسجد ليصلوا الفجر، ويأكلوا بعض الحلويات، وبعد أن انتهت المكالمة غادر حمزة فورًا.

في ذلك المساء جاء بهجت عندنا، وأخذ الأطفال إلى أول حفل شواء، حيث كان فيه الكثير من البالونات والهدايا، وفي اليوم الثاني جاء أخي الأصغر (طلعت) إلى منزلنا، سألني بهجت وطلعت إن كنت أريد الذهاب معهما إلى حفل الشواء المقبل؟، لكني رفضت لأني لم أشعر بالرغبة في الاحتفال.

«لا، شكرًا لكما. لكن أرجوكما خذا يوسف وأنس وسارة، وأنا سأبقى في المنزل لأعتني بروان وعبود».

أعطاني بهجت وطلعت نقودًا وهدايا للأطفال: سيارات، وطائرات، ودمى، وخشخيشة لعبود. وقررت أن أعطي تلك النقود طلعت؛ ليشتري لي كاميرا فيديو. فهذا شيء من المستحيل أن يشتريه لي حمزة، وعندما رجعا من المتجر بدأت فورًا تصوير الأطفال، لقد أردت أن أحظى بشيء أكثر

من مجرد ذكريات وبعض الصور عن طفولتهم، فقد أردت أن أسجل ابتساماتهم وطريقة حديثهم وتصرفاتهم، بقي أخواي عندنا ثلاثة أيام، ثم عادا لمنزليهما؛ حتى يرجعا لعمليهما.

كان أنس غاضـبًا من حمزة منذ زواجه الثاني، فلم يسـتطع البقاء هادئًا، وظل يتشاجر مع إخوانه وأخواته، كنت أعرف سـبب غضبه، لكني كنت أشعر بالانزعاج الشديد، عندما كان يشد شعر سارة، ويجعلها تبكي، أو عندما يضرب يوسف على كتفه.

«لمَ تتشاجر مع إخوتك يا أنس؟ فهم لم يفعلوا شيئًا لك! اذهب إلى غرفتك!».

نهض، وهز رأسه رافضًا.

«اذهب!».

«لا، لن أذهب».

قلـت لـه، وأنا حانقة قليلًا: «حسـنًا، اذهب إلـى الخارج؛ أي حديقة المنـزل» ثم فتحت الباب الخلفي، ورافقته إلى الخارج، وأغلقت الباب خلفه، ذهبت إلى المطبخ لأغسل الصحون، لكن بعد خمس دقائق تقريبًا سـمعت صـوتًا حادًّا لحجارة صغيرة تضـرب نافذة المطبخ فوق المغسلة. نظرت إلى أعلى، ورأيت أنس يقف على الجهة الأخرى، وهو مستشيط غضبًا.

«لماذا غادر أبي يا أمي؟ إنه عيدنا، وكان يجب عليه أن يبقى معنا!».

لوّح أنس بذراعه بكل ما أوتي من قوة، وضرب النافذة، فكسر الزجاج.

«أنس!» صـرخت، وركضـت مسـرعة لأحمله للداخل. جـرح أنس يده جرحًـا عميقًا من إبهامه وحتى منتصـف راحة يده. اتصلت بسـيارة أجرة؛ لتأخذنا إلى المستشفى، وطلبت من يوسف أن يعتني بإخوته في غيابي. وفي غرفة الإسعاف رأيت الدكتورة نجاح، التي كانت تعرف عائلتنا، فأخذت أنس، ونظفت يده، وسحبت برفق شظايا الزجاج الصغيرة المغروسة في يده، ثم ضـمدت جرحه، وعانقتني دون أن تقول الكثير. فقد كانت تعرف وضـع عائلتنا، ولم ترد أن تحرجنـي، بعد ذلك أخذت أنس ويده تملؤها الخرز إلى المنزل، ووضـعته في سـريره، وبقيت معه طوال الليل؛ لأتأكد من أنه بخير.